التوسع الفرنسى في افريقيا الاستوائية
في النصف الثانى من القرن التاسع عشر

د٠ الهام محمد ذهنى
مدرس التاريخ الحديث
بكلية الدراسات الانسانية ــ جامعة الأزهر

ان لفرنسا تاريخا قديما فى الاستعمار ، اذ كونت امبراطورية استعمارية كبيرة فى نصفى الكرة الأرضية ، بدأت فى القرن السابع عشر ساهم فى بنائها ريشيليو وكولبير وعرفت هذه الامبراطورية فى التاريخ الفرنسى بالامبراطورية الأولى ، وقد أفل نجمها فى عام ١٧٦٣ حين أجبرت فرنسا على التخلى لانجلترا عن كندا والهند فى معاهدة صلح باريس التى أعقبت حرب السنوات السبع ، ثم تلاشت هذه الامبراطورية تقريبا على اثر استيلاء الأسطول البريطانى عليها أثناء حروب نابليون ، بحيث لم تترك معاهدة باريس ــ المعقودة فى ٣٠ مايو ١٨١٤ ــ لفرنسا من حطامها [١] سوى مستعمرات ضئيلة الشأن [٢] ٠

---

(١) محمد محمد حسنين : الاتحاد الفرنسى ــ الجماعة الفرنسية فيما وراء البحار القاهرة ١٩٦٠ ص ٢ ٠

(٢) هى المحطات التجارية بالهند الفرنسية وهى موانى يانون ، بوند شيرى ، كاريكال على ساحل الكرومانـدل ، وما هى على ساحل الملبار ، وشندر ناجور على دلتا نهر الجانج فى البنغال ، وجزيرة ريو نيون فى المحيط الهندى ، جيان الفرنسية بأمريكا الجنوبية ، والمحطات التجارية بالسنغال فى افريقيا الغربية ، وجزر الانتيل (المارتينيك) والجواد لوب فى البحر الكاريبى ، وجزر سان بيير وميكلون فى أمريكا الشمالية .

أما الامبراطورية الثانيـــة التى كونتها فرنسا فقد بدأت باحتلال الجزائر عام ١٨٣٠ ، واذا كان غزو الجزائر لم يلق قبولا كبـــيرا بين الناس ، الا أن التقـــدم الفرنسى ظل فى القـــارة الافريقيـــة يتسم بالبطء ، فقـــد ظل الرأى العام الفرنسى منقسما على نفســـه بين المؤيدين للتوسع الاستعمارى والمعارضـــين له ، وبين أنصار الملـــكية والجمهورية ولكل فريق رأيه الخاص به فأنصار الجمهورية احترموا مبـــادىء السيادة والحرية والمساواة ، أما أنصـــار الملكية فـــكانوا يريدون عودة أمجاد لويس الرابع عشر ونابليون بونابرت وقـــد رأوا ضرورة امتداد الحضارة الفرنسية الى الأمم الأخرى [٣] .

ورغم أن ملكية يوليو منحت فرنسا السلام الطويل ، الا أن هذا السلام لم يقنع شـــعبا كالشعب الفرنسى بالمجد ، فقـــد رأى لويس فيليب أن مسئولية حكومته هى رفع المستوى الاقتصـــادى لبـــلاده واحلال السلام لتنمية تجـــارة فرنســـا [٤] . وبسقوط حكومة لويس فيليب واعلان الجمهورية الثانيـــة ثم قيام الامبراطورية الثانية ، بدأ عهد جديد فى فرنسا فقـــد اتبع نابليون الثالث سياســـة استعمارية ، وقد اعتمدت حكومته على العسكريين من جهة ، والحزب الـــكاثوليكى من جهة أخرى ، وكلا الحزبين من أنصار التوسع العسكرى ، وقـــد وجهت هذه العناصر سياسة فرنسا حتى الحرب السبعينية وانعكست هذه السياسة الاستعمارية على القارة الافريقية [٥] .

وقـــد تعرضت سياســـة فرنسا التوســـعية فى القارة للأخطار

---

(3) Fage. : An introduction to the history of west Africa . Cambridge 1959 p. 141.

(٤) عبـــد العزيز نوار : التـــاريخ الحـــديث ، أوروبا منذ الثورة الثورة حتى الحرب الفرنسية البروسية (١٧٨٩ — ١٨٧١) دار الفـــكر ١٩٨٥ ص ٢٧٥ .

(٥) صلاح العقاد : مغرب الاستعمار الفرنسى ص ٤٨ .

والانحسار بسبب نشوب الحرب السبعينية ، واضطراب أحوال فرنسا الداخلية ، الا أن الجمهورية الثالثة ١٨٧١ — ١٩١٤ انتهجت بدورها سياسة توسعية فى القارة وكان جول فرى قائدا لهذه السياسة (٦) .

ورغم التشجيع الذى حظى به التيار الاستعمارى الذى نادى بالتوسع فيما وراء البحار الا أنه ظهر تيار معارض لهذه الفكرة ، رأى أنصاره أن استرداد الالزاس واللورين أهم فى المرتبة الأولى من المحافظة على المستعمرات الفرنسية وأنه من الأجدى لفرنسا أن توقف نمو امبراطوريتها وتركز قوتها ضد المانيا (٧) .

وفى النهاية حسم الأمر لصالح أنصار التوسع والاستعمار وساعدت الظروف الدولية فرنسا على تحقيق أطماعها وخاصة بعد انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤ — ١٨٨٥ وهو مؤتمر استعمارى عقد بين الدول الأوروبية المعنية بالاستعمار ، لاقرار الوضع القائم فى القارة الافريقية ولتنظيم سلب ماتبقى من أراضى القارة واذا كان المؤتمر قد عقد أساسا لتنظيم التجارة فى حوض الكونغو ، ولاقرار حرية الملاحة فى النيجر ، الا أنه وضع مبادىء عامة لمنع اصطدام الدول الأوروبية الاستعمارية بعضها ببعض فى القارة (٨) .

اندفعت فرنسا بعد المؤتمر شأنها شأن الدول الأوروبية الاستعمارية نحو القارة لتدعيم مراكزها التى حصلت عليها من قبل ومكاسبها ، واستغلت بدايتها المبكرة فى ميدان الاستعمار بفضل

---

(6) Hanotaux, G : Mon temps la troisiéme république Gambetta et Jules Ferry. Paris tome II p. 426.

(٧) عبد العزيز نوار : التاريخ المعاصر ، أوروبا من الحروب البروسية الى الحرب العالمية الثانية (١٨٧١ — ١٩٤٥) — القاهرة ١٩٧٧ ص ٤٩ .

(8) Betts, R. : The Scramble For Africa U.S.A. 1966 p. 23.

قواتهـا البحرية ، وتمكنت من الاستيلاء على أكبر مساحة من القارة الافريقية فكونت فى غرب افريقيـا ما عرف باتحاد افريقيا الغربيـة الفرنسـية A.O.F. عام ١٨٩٥ وقـد ضمت اليـه كلا من السنغال وغينيا الفرنسية والسودان الفرنسى وداهومى وساحل العاج وأراضى النيجر ثم ضمت موريتانيا (٩) .

كذلك كونت فرنسا من الأقاليم التى سيطرت عليها فى افريقيـا الاستوائية ماعرف باتحاد افريقيا الاستوائيـة الفرنسية Afrique Equatoriale Française وكانت أقاليم الاتحـادين متجاورة ، ولذلك كان من السهل عليها تجميعها فى وحدة واحدة لتسهيل ادارتهـا والتحكم فيهـا ومن ثم عرفت باسم الأقاليم المجمعة أو المتجـاورة Territoires grouppés ، أما فى شرق افريقيـا فقـد كونت فرنسا مستعمرات فى كل من مدغشقر ، جزر القمر، الصومال الفرنسى وكانت هذه المستعمرات متباعـدة ، فمدغشقر وجزر القمر فى المحيط الهنـدى بينما الصومال الفرنسى على ساحل البحر الأحمر المواجـه لعـدن ، ولذلك وحدت فرنسا هـذه المستعمرات وأطلقت عليها اسم الأقاليم الموحـدة Territoires unitaires تمييزا لهـا عن الأقاليم المجمعة التى تجاورت فيها المستعمرات الفرنسية (١٠) .

تكونت افريقيـا الاستوائية الفرنسية من أربع أقاليم الجـابون وعاصمته ليبرفيل ، الكونغو الأوسط وعاصمته بوانت نوار ، اوبانجى تشارى وعاصمته بانجى ، تشاد وعاصمته فورلامى وكانت هذه الأقاليم تعرف من قبـل باسم الـكونغو الفرنسى ثم صـدر مرسوم ١٥ يناير ١٩١٠ أعطاها هذا الاسم (١١) .

---

(9) Ajayi, J. History of west Africa. Great Britain 1974 vol. II p 437 — 438.

(١٠) محمد محمد حسنين : المرجع السابق ص ١١٤ .

(١١) المرجع السابق ص ١١٥ .

لم تكن مهمة فرنسا ميسرة للسيطرة على أقاليم افريقيا الاستوائية وتحقيق هدفها الاستعمارى ، فقد واجهت مصاعب داخلية تمثلت فى المقاومة العنيفة التى ظهرت فى بعض الأقاليم وخاصة فى تشاد ، كذلك كان عليها التصدى لأطماع الدول الاستعمارية الأخرى الطامعة بالمنطقة ، فدارت بينها وبين بلجيكا منافسة شديدة فى الكونغو وبينها وبين بريطانيا فى الجابون ، وبينها وبين المانيا فى منطقة اوبانجى تشارى ، ولذلك فقد كانت مهمة فرنسا لتكوين افريقيا الاستوائية الفرنسية صعبة تطلبت منها الكثير من الجهد ، ولكنها نجحت فى النهاية فى تحقيق مشروعها الاستعمارى الكبير فى المنطقة .

حينما نتحدث عن افريقيا الاستوائية الفرنسية ، فينبغى لنا أن نبدأ بالحديث عن الجابون باعتبارها من أولى المناطق التى وصل اليها الفرنسيون وقد تشابهت الجابون بالسنغال،حيث لعبت الأخيرة دورا هاما فى التغلغل الفرنسى فى غرب القارة وكانت بمثابة القاعدة الأساسية للفرنسيين للانطلاق نحو المناطق الداخلية حتى وصلوا الى تشاد ، ولعبت الجابون دورا هاما أيضا فى التغلغل الفرنسى فى افريقيا الاستوائية ، واتخذت منها فرنسا قاعدة ومركزا رئيسيا لها فى المنطقة ، بالاضافة الى تمتع الجابون بخاصية هامة ألا وهى غناها بمواردها الطبيعية اذ تكثر فيها الغابات والمناجم مما أتاح للفرنسيين فرصة كبيرة لاستغلالها (١٢) .

وقد وقع عبء اكتشاف افريقيا الاستوائية بصفة عامة ، والجابون بصفة خاصة على عاتق رجال البحرية الفرنسية والمستكشفين الفرنسيين ، ومن المعروف أن رجال البحرية الفرنسية لعبوا دورا هاما

(12) Thompson, Virginia French west Africa lond. 1958 p. 342.

ليس فى افريقيـــا الاستوائية فحسب ، وانما فى غرب وشرق القارة الافريقية ومهدوا لتعميق النفوذ الفرنسى فى تلك الجهات [١٣] •

ولا جدال أن البرتغـــال كانت من أولى الدول الأوروبيـــة التى وصلت الى ساحل غينيـــا والى المنـــاطق الواقعة جنوبه [١٤] فأرسلت البعثات التبشيرية كما حاولت الاتصال بالأفارقة فى المناطق الداخلية لخدمة أغراضها التجارية ، ونجحت فى احتكار وتصدير بعض المنتجات كالمعادن والزجاج واستبدلتها بالذهب والعاج والرقيق [١٥] •

ولـــكن لم تستفد البرتغال من كشوفها فى المنطقة، قدر استفادة الفرنسيين الذين أسسوا الشركات التجـــارية فاحتكروا التجـــارة من سيراليون حتى رأس لوبيه ، كما احتكرت شركة الهنـــد الشرقيـــة الفرنسية وشركة غينيـــا التجـــارة حتى رأس الرجاء الصـــالح وعلى طول ساحل أنجولا • وفى القرن الثامن عشر كان البحارة الفرنسيون على علم تام بهـــذه السواحل وبلغ عدد الوكالات الفرنسية العاملة فى المنطقة فى عام١٧٨٥ أكثر من سبعين وكالة أسسها التجار الفرنسيون القادمون من نانت ومارسيليا وبوردو [١٦] •

اعتمدت التجـــارة الفرنسية على المبـــادلة فحمل الفرنســـيون الأقمشة والمنسوجات والطبـــاق والأغـــذية من أجل الحصـــول على

---

(13) Hanotaux, G : Histoire des Colonies Francaises et de L'expansion de La France dans le monde Tome IV parir 1929 p. 329.

(١٤) وصلت السفن البرتغالية الى المحيط الأطلنطى ، وعبرت خط الاستواء ووصل كل من Fernanvaz, Lopez Gonsalvez الى المنطقة التى عرفت باسمهما أى الى رأس لوبيه والى خليج فرنانفاز . كـــذلك وصل ديجو كام الى مصب الكونغو وكان يسمى زائير نسبة الى مملـــكة افريقيـــة قوية .

(15) Hanotaux : op cit p 360.

(16) Ibid p. 364.

المنتجات الافريقيـــة مثل العـــاج والذهب والأخشـــاب وجوز الهنـــد بالاضـــافة الى الرقيق واستمر التفوق التجارى الفرنسى حاسما فى المنطقـــة الممتدة من الجابون حتى رأس الرجاء الصـــالح حتى أواخر القرن الثامن عشر (١٧) .

وبالاضافة الى اهتمام الفرنسيين بالتجارة اهتموا بنشر ثقافتهم وديانتهم . فقدمت البعثـــات التبشيرية الى الجابون وســـاهم رجال الدين فى اكتشاف المنطقـــة والقاء الضـــوء عليها مثل القس برويار Proyart الذى عمل فى جنـــوب الجـــابون فى لوانجو Loango ونشر عام ١٧٧٦ كتابا هاما عن المنطقـــة (١٨) . وتركز عمل البعثـــات التبشيرية فى الجابون فى المنـــاطق الواقعـــة جنوبها فتوغلت هـــذه البعثات فى لوانجو وبوانت نوار . بينمـــا تركزت فى الجـــابون فى المنطقة التى تأسست فيها مدينة ليبرفيل الحالية (١٩) .

جذبت المنطقة اهتمام رجال البحرية الفرنسية فى أوائل القـــرن التـــاسع عشر ورأوا أن الجـــابون تصلح لـــكى تكون قاعدة للبحرية الفرنسية فى المنطقة ، ففى عام ١٨٠٥ كتب الأدميرال لينوا Linois الى وزير البحرية الفرنسية يدعوه للاهتمام بالجابون وتقوية الصلات معها ومع المنـــاطق الواقعـــة جنوبهـــا نظرا لأهميـــة موقعهـــا على الساحل (٢٠) .

---

(17) Ibid p. 365.

(18) Histoire du Loango, Kakongo et autres royaumes d'Afique redigée d'aprés les memoires des prefts apostoliques de la mission Française.

(19) The Cambridge history of Africa from 1790 — 1870 Great Britaim 1976. vol. 5 p. 3111 .

(20) Hanotaux, G : op. cit vol IV p. 370.

واذا كانت فرنسا قد انشغلت بالحروب النابوليونية عن الجابون ، الا أن منطقة ساحل غينيا جذبت انتباه رجال البحرية الفرنسية منذ الثلاثينيات من القرن التاسع عشر فعملوا على انشاء الحصون فى ساحل العاج ، وفى ساحل العبيد ، ولعب التجار الفرنسيون دورا بارزا فى ساحل غينيا حتى تم انشاء حصنين فى ساحل العاج فى كل من جران بسام واسينى كذلك تم انشاء حصن فرنسى ثالث فى الجابون التى أصبحت تمثل قاعدة بحرية هامة للنشاط الفرنسى فى المنطقة (٢١) .

وفى الواقع أن الاهتمام بالجابون لم يقتصر على الضباط الفرنسيين فحسب وانما اهتم بالمنطقة رجال البحرية البريطانية فقد أرسلت بعثة مكونة من الكابتن توكى Tuckg والملازم هوكى Hawkey الى المنطقة منذ عام ١٨١٦ وتجول الكابتن توكى فى سواحل الجابون ووصل الى رأس لوبيه وتعرف على أجزاء من نهر الجابون ، ولكن البحرية البريطانية خلال هذه الفترة فضلت العمل فى ساحل غينيا مما أتاح الفرصة للفرنسيين لتدعيم سيطرتهم فى الجابون (٢٢) .

يرجع الفضل الى بوبيه ويلوميه القائد البحرى الفرنسى فى تدعيم سيطرة بلاده على ساحل غينيا ، فعقد المعاهدات التجارية فى ساحل العاج ودعم صلاته بالزعماء المحليين وأطلق على المراكز التجارية فى ساحل العاج اسم وكالات الجنوب Comptoirs du Sud واستتبع تدعيم السيطرة الفرنسية فى ساحل العاج تدعيمها فى

---

(21) Brunshwig, H. : L'Avenement de L'Afrique Noire au xix siécle paris 1963 p. 59.

(22) M. A. C. : Histoire Compléte des voyages et decouvertes en Afrirque paris 1921 p. 6.

الجـابون أيضا فزار بوييه المنطقـة فى عام ١٨٣٧ ثم زارهـا للمرة الثانية عام ١٨٣٩ على ظهر السفينة الفرنسية Malouine ونجح بوييه فى التفـاوض مع زعماء القبائل الرئيسية وزعماء القرى فى الجابون، وفى ٩ فبراير ١٨٣٩ وقع مع زعيم الضـفة الشمالية للجـابون الملك دنيس أول معاهـدة فرنسية وافق فيهـا الملك على اقامة المنشـآت الفرنسية ، وكانت هـذه المعاهدة بداية لتكوين افريقيـا الاستوائيـة الفرنسية وقبل الملك دنيس اعلان الحمـاية الفرنسية على أراضيه • وقد قـدر لهذا الملك أن يلعب دورا هاما فى المنطقة فقد عمل كوسيط تجـارى بين الفرنسيين وبين سكان المنـاطق الداخلية فى الجابون واعتنق المسيحية وأرسل أولاده الى مدارس البعثات التبشيرية وتوفى فى عام ١٨٧٦ بعـد أن سـاهم بدور كبير فى تركيز النشاط الفرنسى فى الجابون [٢٣] •

وفى عـام ١٨٤١ وقع بوييـه مع الملك لويس فى منطقـة بوانت بنجـارا Point Pungara معاهدة حماية ، وقد حذى بقيـة الزعماء المحليين حذو الملك لويس فوقعوا معاهدات الحماية فى أبريل عام ١٨٤٣ مع القـائد الفـرنسى بودان Baudin ، كذلك قبـل ملك منطقـة Quabens الحماية الفرنسية على أراضيه ، وفى يوليو ١٨٤٤ وقع القائد الفرنسى داريكو Darricau معاهـدات حمـاية مع زعمـاء الجزر وشبه الجزر الواقعة عند روافـد الجابون ومنهم الملك جلاس وبنـاء على أوامر حاكم السنغال تم بنـاء حصن فرنسى فى الجـابون هـو حصـن دومال Fort D'Aumal وذلك فى ١١ يونيـو ١٨٤٣ [٢٤] •

على أن توقيع هذه المعاهـدات أثار غيرة وحسد ضباط البحرية

---

(23) Hanotaux, G : op. cit tome IV p 373 .

(24) Ibid p. 374.

البريطانية العـــاملين فى ساحل غينيا ، فبدأوا فى اثارة المتـــاعب للفرنسيين وحرضوا الملك جلاس على رفض المعاهدة التى وقعهـــا من قبل مع الفرنسيين ولكن فرنسا تمسكت بالمعاهدات التى عقدتهـــا مع الزعماء المحليين فى الجابون فقـــد تزايدت أهمية المنطقة خلال هـــذه الفترة واعتبرتهـــا فرنسا من أهم قواعدها البحرية على أن تمســـك فرنسا بالمعاهدات التى وقعتهـــا لم ينه التنـــافس بينها وبين بريطانيا فى المنطقـــة فسرعان ما أثيرت مشكلة أخرى بين الطرفين بشأن تجارة الرقيق ، وصـــدرت التعليمات الى الضباط الفرنسيين بمحاربة هذه التجارة ابتداء من السنغال حتى الجابون ، ففى نوفمبر ١٨٤٥ صدرت التعليمات من جورية فى السنغال الى قادة الجابون بضرورة اصـــدار اعلان رسمى الى سكان الجابون تضمن عدة مواد نصت المادة الأولى منه بأنه على السكان الخاضـــعين للنفوذ والقوانين الفرنســـية عليهم الامتناع عن تجـــارة الرقيق وعن التجارة مع التجـــار البرازيليين ، ونصت المـــادة الثانية من الاعلان على أن يقوم قائد حصـــن دومال بتعريف الزعمـــاء المحليين بأخطار هذه التجارة وضرورة منعهـــا فى أراضيـــهم وابلاغهم أنهـــا محـــرمة قانونا ، وأن الفرنسيين ســـوف يحاولون تعويض هؤلاء الزعمـــاء عن الأسرى من الرقيـــق عن طريق الاستفادة منهم بدلا من بيعهم ، ونصت المادة الثالثة على قائد حصن دومال اعطاء الحرية التـــامة للتجارة الشرعية وحـــرية اقامة المنشآت للأوروبيين ولكن بشرط أن تـــكون هـــذه المنشآت خاضـــعة للحماية الفرنسية وتحت اشراف فرنسا ، ونصت المـــادة الرابعة على معرفـــة الجهة التى يقصـــدها تجار الرقيق ومعرفة المنشآت التى تتاجر فى هذه التجـــارة والعمـــل على تدميرها ، كذلك أكد الاعلان على ضرورة مصـــادرة السفن التى تصل الى الجابون ولا تحمل أوراق رســـمية ونصت المادة الخامسة على ضرورة مراقبة التجار البرازيليين ومنعهم

من التجارة اذ شكل هؤلاء التجـــار خطرا كبيرا لنشـــاطهم فى هـــذا المجـــال [٢٥] .

وقد تعقب الضباط البريطانيين بدورهم تجار البرازيل لمنعهم من تجارة الرقيق وترتب على ذلك توتر العـــلاقة بينهم وبين الفرنسيين لأن عمليـــة مطاردة تجار الرقيق تمت فى بعض الأحيان بدون الحصول على اذن مسبق من السلطات الفرنسية وتوغل الضباط البريطانيون فى أراضى اعتبرتهـــا فرنسا تابعة لها ولذلك أرسل الـــكونت انولير الى اللورد ابردين فى عام ١٨٤٦ يشكو من تصرفات هؤلاء الضباط وذكر منهم القـــائد البريطانى بوسنكيه Bosanquet قائد السفينة Alert الذى قام بعدة عمليات عسكرية فى الجابون أثنـــاء مطاردته للتجـــار البرازيليين دون استئذان السلطات الفرنســـية ، كذلك رفض أوامـــر التحية للعلم الفرنسى [٢٦] .

وقد خشيت الحكومة البريطانية من توتر العـــــلاقة بينها وبين فرنسا ولذلك قامت بمساءلة الكابتن بوسنكيه لتوضـــيح موقفـــه أمام الحكومة الفرنسية [٢٧] .

وقد دافع بوسنكيه عن موقفـــه بأنه تلقى معلومات عن وجـــود تجار للرقيق فى المنطقـــة وأكد أن العمليـــات العسكرية التى قام بها ضدهم كانت على بعـــد خمسة أميال من منشآت فرنسا فى الجابون

---

(25) F. O. 403 / 4 N° 127. jnstructions pour le batiment stationnaire dans le Gabon. Gorée Ee 4 Nov. 1845.

(26) F. O. 403 / 4 N° 130 The Earl Aberdeen to Lord william Hervey. Foreign Office June 1946.

(27) Ibid N. 132 The Secretary to the Admiralty to MR. Addington Admiralty July 7. 1846.

وعلل تصرفه بأنه علم بوجود شحنة كبيرة من الأرقاء علىوشك الابحار من الجابون فحاول منعها (٢٨) .

وهكذا نلمس حرص فرنسا على التمسك بالجابون ومنع أى دولة أوروبيـــة أخرى من أن يكون لها نفوذ فيها ، واكتسبت المنطقة أهمية جديدة بالاضـــافة الى كونهـــا قاعدة بحرية وذلك عند انشاء مدينـــة ليبرفيل ١٨٤٩ على غرار فريتاون وقد بدأ الفرنسيون فى انزال العبيد المحررين على الساحل منذ عام ١٨٤٨ وأصبحت ليبرفيل محطة هـــامة لتموين السفن الفرنسية بما تحتاج اليه وخاصة الفحم (٢٩) .

وخلال عهد حكومة الامبراطورية الثانية اتبع الفرنسيون سياسة أكثر نشاطا فى المنطقـــة فتزايدت البعثـــات العلميـــة والاستكشافية والتبشيرية وفى الفترة مابين ١٨٥٧ — ١٨٥٩ استطاع بول دى شيلو Paul De chaillu اكتشاف نهر أوجويه والتعرف على روافده ودون ملاحظـــاته فى كتـــاب قيم ، وفى عام ١٨٦٢ أعلن الأدمـــيرال ديدلو Didclot السيطرة الفرنسية من رأس لوبيه حتى دلتا بوانت بنجوار الواقعـــة على الضفة الشمالية للجابون وتم رفع الأعلام الفرنســـية عليهـــا (٣٠) .

رغم اهتمام حكومة الامبراطورية الثانية بالجابون الا أنه ظهرت خلال الستينات من القرن التاسع عشر فكرة تدعو الى مبادلة الجابون مع بريطانيـــا فى مقابل حصـــول فرنسا على غمبيا وكان من أنصـــار هذا الرأى فيدهرب حاكم السنغال وكتب مذكرة بذلك الى الامبراطور

---

(28) Ibid N. 132 inclosure Commander Bosanquet to the Admiralty Clay - Hill Lodge July 4, 1846.

(29) Hanotoux, G : op. cit p. 375.

(30) Ibid p. 378.

نابليون الثالث وقد استند فيدهرب فى رأيه على أن من مصلحة فرنسا التوسع جنوبا من السنغال وضم أراضى غمبيا ولكن الحكومة البريطانية رفضت التخلى عن غمبيا وأثيرت الفكرة مرة أخرى فى الثمانينات من القرن التاسع عشر عندما بدأت بريطانيا تسعى لتكوين حزام من الأراضى يمتد من ساحل غينيا ويسير جنوبا حتى الجابون ففكر بعض الساسة البريطانيين فى امكانية ضم الجابون ولكن كان من الصعب على الفرنسيين فى ذلك الوقت التخلى عنها لتزايد أهميتها كذلك لتزايد أهمية ساحل غينيا (٣١) .

على أن هذا النشاط الفرنسى المكثف فى الجابون خلال عهد الامبراطورية الثانية سرعان ما تعرض للتقلص والانهيار بسبب نشوب الحرب السبعينية مما أدى الى هجر فرنسا لمنشآتها فى الجابون ، وفى ساحل غينيا وساحل العاج والعبيد ولكن سرعان مابدأت فرنسا تستعيد نشاطها فى المنطقة مرة أخرى ولكن بصورة أكثر عمقا عن السنوات السابقة (٣٢) .

وجدير بالذكر أن بريطانيا خلال فترة السبيعينات من القرن التاسع عشر فكرت فى مد نفوذها جنوب ساحل غينيا أى من لاجوس حتى المنشآت الفرنسية فى الجابون واستندت على سبب هام وهو انسحاب فرنسا من تلك المنطقة وهجر منشآتها ورغم وجود مشجعين لهذه الفكرة الا أنها لقيت معارضة من قبل بعض الساسة البريطانيين لأنهم رأوا أن تدعيم السيطرة البريطانية على هذه الرقعة الكبيرة الممتدة من لاجوس حتى الجابون سيؤدى الى ارهاق ادارة ساحل الذهب التى تركزت فيها ادارة ساحل غينيا (٣٣) .

---

(31) Anstey, Roger : Britain and the Congo in the Nineteenth Century. OxFord 1962. p. 102.

(32) Avice, E. La Côte Divoire. Paris 1951 p. 38.

(33) Thompson, V op. cit., p. 163.

عادت فرنسا الى الجابون أكثر نشاطا ووطدت نفوذها من جديد في ساحل العبيد وساحل العاج واستعادت منشآتها في تلك المناطق منذ عام ١٨٧٩ (٣٤) .

كان نشاط دى برازا في الجابون من أهم العوامل التي ساهمت في تدعيم السيطرة الفرنسية عليها ورغم أن اسم دى برازا يقترن بالكونغو الفرنسي الا أنه بدأ عمله في المنطقة في الجابون أولا واستطاع دى برازا الوصول الى نهر أوجويه وخلال عشرين شهرا كشف عن ٧٠ كم من النهر وتعرف على المنابع العليا فيه ، وذلك في عام ١٨٧٦ ، كما نجح دى برازا في تأسيس مدينة فرانس فيل ، وعاد الى فرنسا عام ١٨٧٨ ثم مالبث أن عاد الى المنطقة موفدا من الشعبة الفرنسية للجمعية الافريقية عام ١٨٧٩ ولكن في هذه المرة ركز جهوده صوب الكونغو (٣٥) .

ويرجع السبب في تركيز نشاط دى برازا في الكونغو أنه أكد أن نهر الجابون لايساعد كثيرا على التوغل في داخل القارة للتوسع وأن نهر الكونغو يتيح لفرنسا فرصة أكبر للتوسع في المناطق الداخلية ولكنه أكد أهمية الجابون كقاعدة بحرية هامة (٣٦) .

والواقع أن قادة الجمهورية الثالثة انتهجوا سياسة توسعية في افريقيا وحرصوا على ربط السنغال بالنيجر واكتشاف الأراضي الداخلية لداهومى وساحل العاج مع تحقيق الاتصال بينهما وبين النيجر والعمل على ربط غرب افريقيا بكل من شمال افريقيا وافريقيا

---

(34) Ibid, p. 163.

(٣٥) زاهر رياض : الاستعمار الأوروبى لأفريقيا — القاهرة ١٩٦٠ ص ٧٣ .

(36) Thompson, V : op.cit p. 8

الاستوائية ومد النشاط الفرنسى من البحر المتوسط حتى الكونغو وقد تحققت هذه السياسة بالفعل (٣٧) .

كثف الفرنسيون نشـــاطهم فى الجابون باعتبارها مفتاح افريقيا الاستوائية ونظرا لتزايد أهميتها لم تعد تابعة للسنغال وانما انفصلت عنها عام ١٨٨١ وأصبحت هى بدورها قاعـــدة هامة ومركزا رئيســـيا للانطـــلاق نحو المنـــاطق الداخليـــــة وحلت ليبرفيل محل داكار فى ادارة المنطقـــة (٣٨) .

وفى عام ١٨٨٣ بلغ عدد المراكز الفرنسية الممتدة على طولوادى أوجويه حوالى عشرين مركز ووقعت المعاهدات مع القبائل الوطنيـــة فى المنطقـــة (٣٩) .

ونجح دى برازا فى تحقيق هدفه فى الجابون اذ تكونت جمعية أعالى أجويه كانت مهمتهـــا الأساسية هى التوسع فى أعالى هذا النهر ولفتح طريق من مصب الـــكونغو الى أعالى النيل والافادة من المنطقة من الناحية التجارية (٤٠) .

وهكذا حقق الفرنسيون هدفهم فى الجـــابون ودعموا مراكزهم فيها لكى يتمكنوا من التوغل فى المناطق الداخلية .

أما الاقليم الثانى من أقاليم افريقيـــا الاستوائية التى اهتمت فرنســـا بالسيطرة عليه فهو الـــكونغو الأوسط أو ماعرف بالـــكونغو

---

(37) Hanotaux. G : op. cit p. 273 .

(38) Thompson, V . op. cit p. 5.

(39) Ibid p. 8 .

(٤٠) شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ـــ القاهرة ١٩٧١ ص ٢٩٥ .

الفرنسى • وفى الواقع أن فرنسا لم تكن الدولة الوحيدة المهتمة بهذه المنطقة فالملك ليوبولد ملك بلجيكا كانت له أطماع استعمارية فى القارة الافريقية وخاصة فى الكونغو ، فقد أدرك أن أوروبا ليست الميدان الصحيح لنشاطه وأن افريقيا هى الميدان الذى يمكنه من تحقيق أحلامه التوسعية (٤١) •

وضع ليوبولد نصب عينيه هدفا هاما وهو تكوين مستعمرة بلجيكية فى الكونغو ، وأعلن ذلك أمام البرلمان البلجيكى وبرر سياسته أن بلاده بلاد صناعية وتجارية ، وأنه لم يعد أمامه مجال للتوسع فى أوروبا ، وأن الجهود التى يمكن الافادة منها وتؤتى ثمارها هى فى القارة الافريقية ، ولذلك بث دعاية كبيرة عن القارة ساعده فى ذلك السياسى البلجيكى الشهير اميل بانتج Emile Banning (٤٢) •

ولكن اهتمام ليوبولد بافريقيا وبمنطقة الكونغو لم يأت من فراغ فقد سبقه جهود المستكشفين الأوروبيين وخاصة البريطانيين ففى عام ١٨٧٢ أرسلت الجمعية الجغرافية الكابتن كمرون الذى وصل الى زنجبار ومنها اندفع نحو المناطق الداخلية من القارة حتى وصل الى نهر اللوالابا وهو أحد فروع نهر الكونغو ونجح كمرون فى عقد عدة معاهدات مع الحكام الوطنيين فى منطقة الكونغو الأدنى ، وفى عام ١٨٧٥ عاد الى بلاده وأشار الى أهمية المنطقة وثروتها الطبيعية (٤٣) •

شجعت كبار الشخصيات فى بريطانيا ارسال البعثات التبشيرية

---

(41) Robinson, R : Africa and The Victorians N. Y 1961 p. 326.

(42) Ibid p. 326.

(43) Ibid p. 169 .

والكشفية الى المنطقة ، كذلك شارك فى هـذا التشجيع كبـار رجال الصناعة مثل روبرت ارثنجتون الذى خصص أموالا للبعثات الكشفية والتبشيرية فى أعالى حوض الكونغو ، وأكد أن وصـول كمرون الى اللوالابا سيتيح الفرصة للبعثات المسيحية للعمل فى المنطقة (٤٤) .

ورغم اهتمام بريطانيـا بمنطقة الـكونغو الا أن الفضل الأكبر فى القاء الضوء عليها يرجع الى ستانلى وهو من أصل ايرلنـدى عمل لحساب صحيفة النيويورك هيرالد الأمريكية ، وبدأ رحلته ١٨٧٤ وكان الهدف منها الطواف ببحيرة فيكتوريا وبحيرة تناجانيقا ، والوصول الى نهر اللوالابا ، وأثبت سـتانلى فى رحلتـه أن نهر اللوالابا متصـل بالكونغو ، وفى عام ١٨٧٧ وصل الى الشلالات التى عرفت باسـمه ثم وصل الى المدينة التى عرفت فيما بعد باسم ستانلى بول ، وأخيرا تابع رحلته حتى وصل قرب مصب الكونغو عند مدينة بوما . وترجع أهمية رحلة ستانلى أنهـا أوضحت شبكة المجارى المـائية الافريقية وكشفت الغموض عن الـكثير منها (٤٥) .

جذبت جهود سـتانلى فى الـكونغو فى الفترة مابين ١٨٧٤ — ١٨٧٧ أنظـار الملك ليوبولد فدعا الى عقـد مؤتمر فى بروكسل ١٨٧٦ وكان الهـدف من المؤتمر الـكشف عن الأقاليم الواقعـة فى داخل افريقيـا ، وخاصة الأقاليم الواقعة بين المحيطين الأطلنطى والهندى، والـكشف عن الأقاليم الشمالية والجنوبية بين حدود مصر والسودان فى الشمال وحوض الزمبيزى فى الجنوب ، كذلك ارسال المـكتشفين لاقامة المحطات العلمية والطبية لتكون قاعدة للعمليات التوسعية (٤٦) .

---

(44) Anstey, R : op. cit p. 34.

(٤٥) شوقى الجمل ، المرجع السابق ص ١٠٤ .

(46) Eucher, Le p : Le Congo. Paris 1894 p. 214 .

وكذلك العمل على القضاء على تجارة الرقيق المنتشرة فى المنـــاطق الداخلية ووضع حد لها واقامة مراكز لمراقبتها (٤٧) .

أسفر المؤتمر عن صدور عدة قرارات منها تأليف الهيئـــة الدولية لاكتشاف افريقيا وادخال الحضارة فيها وأكد ليوبولد بعـــد المؤتمر ، أن بروكسل ستكون مركز الحركة الحضارية فى أوروبا ، كـــذلك نتج عن المؤتمر تكوين شعبة محلية تابعة للهيئة الدوليـــة فتكونت الشـــعبة الفرنسية على رأسها دى برازا كذلك تكونت الشعبة البلجيكية والتى انبثق منهـــا لجنـــة عرفت باســـم لجنـــة دراســـة الـــكونغو الأعلى Comité d'étude du Haut congo (٤٨)

جذب ليوبولد ستانلى للعمل معه فقبل وخاصـــة بعد أن فشلت جهود الأخير لجذب انتبـــاه حزب الأحرار الحاكم فى بريطانيا . وقد أفاد ليوبولد من ستانلى فائدة كبيرة ، فقد عاد الى الـــكونغو ١٨٧٩ وكان الهدف الأساسى لبعثتـــه ، هو فتح طريق المواصلات والملاحـــة بين الـــكونغو ومدينـــة ستانلى بول فى الداخل والمناطق الساحلية، ونجح ستانلى فى مهمته وأسس عام ١٨٨٠ عدة محطات فى الـــكونغو باسم لجنة دراسة الـــكونغو الأعلى كما عقد المعاهدات مع الزعمـــاء المحليين ، وفى عام ١٨٨١ أسس مدينة ليوبولد فيل تخليـــدا لاســـم الملك ليوبولد (٤٩) .

بعد أن حقق ستانلى نجاحا كبيرا فى منطقة الـــكونغو أصـــبح هـــدف ليوبولد هو الحصول على اعتراف بـــدولة الـــكونغو الحـــرة ولذلك حاول اقنـــاع رجال الأعمال البريطانيين بممارســـة نشـــاطهم

---

(47) Castelin, A : The Congo state Lond 1907 p. 26.

(48) Ibid p. 28.

(49) Robinson : op. cit p. 170.

التجارى فى المنطقـــة ، وأكد لهم ان تجارتهم ستكون أكثر أمنا تحت ادارته مما لو كانت تحت ادارة فرنسا أو البرتغال (٥٠) .

كذلك سعى لاحتكار تجارة الصمغ والعاج فى حوض الكونغو ، مما أثار الشركات التجـارية الفرنسية العـاملة فى الضـفة اليمنى لنهر الـكونغو (٥١) .

وفى الوقت الذى كان فيه ستانلى يعمل جاهدا لنشر نفوذ الملك ليوبولد على أكبر مساحة من حوض الكونغو ، فعقـد مع الزعمـاء الوطنيين المعاهدات التى تربطهم به حتى قيل أنه عقـد مايقـرب من خمسمائة معاهدة ، كان دى برازا يعمل على الضـفة اليمنى لنهـر الـكونغو (٥٢) .

والواقع أننـا لانستطيع التحدث عن الـكونغو الفرنسى دون أن نذكر جهود دى برازا فى المنطقـة فاليه يرجع الفضـل فى اقرار وتدعيم نفوذ فرنسا ، وان كانت هناك جهود أخرى بذلت فى المنطقة، الا أنها لم تكن بنفس أهمية جهود دى برازا ، فقد عمل فى المنطقـة من قبل الملازم ايمس Aymes الذى تعرف على أجزاء من مصب نهر أوجويه ، ونجح فى عقد المعاهدات مع الزعماء الوطنيين .

وقـد عهـد الى دى برازا استكمال أعمال الملازم ايمس ولكنه كان على درجة كبيرة من الطموح ، فقـدم مشروعا الى وزير البحرية والمستعمرات طالب فيـه بضرورة اقرار النفوذ الفرنسى فى الكونغو

---

(50) Anene. J : Africa in the Nineteenth and twentieth centuries Lond 1972 p. 121.

(51) Williams, B. : Modern Africa 1972 p. 40.

(٥٢) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٣٠٠ .

وكتب مذكرة بذلك فى ٢٣ ينـــاير ١٨٧٤ « رأيت أثناء وصـــولى الى الجابون امكانية اكتشـــاف مجرى نهـــر أوجويه ولهذا النهر أهميـــة اقتصـــادية كبيرة تمكننـــا من التوغل فى المنـــاطق الداخلية للقارة الافريقيـــة » (٥٣) .

وبذلك يمكن أن نقول ان دى برازا أفاد من اكتشافاته فى نهـــر أوجويه فى الجابون للتوسع فى المنـــاطق الداخلية ، وقد قبل وزير البحرية مشروع دى برازا الذى وصل الى داكار ١٨٧٥ ومنها اتجـــه الى الجـــابون ثم الـــكونغو وتقـــدم فى المنطقـــة حتى وصـــل الى بحـــيرة اليما Alima وتقع على ضـــفة الـــكونغو اليمنى ومنها اتجه الى أراضى جماعات باتيكيه Batékes ونجح فى التعرف على أجزاء من نهر الكونغو كان ستانلى قد وصل اليها من قبل (٥٤) .

عاد دى برازا الى الكونغو مرة ثانية عام ١٨٧٩ موفدا من قبـــل جمعيـــة الدراسات الافريقية لكشف المنطقة الممتدة من الجـــابون الى تشاد ، فى الوقت الذى تقدم ستانلى فى المنطقـــة موفـــدا من قبل الشعبة البلجيكية ولذلك دار سباق بين الطرفين كل منهما يحاول ربط الكونغو بالجهة التى يعمل لحسابها (٥٥) .

نجح دى برازا فى عقد المعاهدات مع الزعماء الوطنيين لقبول السيطرة الفرنسية وأسس قرب مصب الكونغو وعلى الضـــفة اليمنى محطة لخـــدمة أغراض الفرنسيين فى المكان الذى أطلق عليه اســـم برازافيل تخليدا لذكراه (٥٦) .

---

(53) Hanotaux, G : op. cit p. 387 .

(54) Ibid pp. 390 — 392 .

(٥٥) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠٦ .

(٥٦) المرجع السابق ص ٥٠٦ .

على أن أهم نجاح حققه دى برازا هو أنه استطاع الاتفاق مع الملك ماكوكو Makoko الذى تقع بلاده بين قرية نينتشو Nyantchou الواقعة على نهر الكونغو وبين مبيه Mbé فى الداخل • وترجع أهمية الاتفاق مع ماكوكو انه كان له نفوذ كبير على جماعات باتيكيه Batekes التى تقطن الضفة اليمنى للنهر ، كذلك كان له سيطرة على المناطق الداخلية ، وقد تقابل دى برازا مع مبعوث الملك ماكوكو الذى أطلعه برغبة الملك فى توطيد عرى الصداقة مع الفرنسيين فقام دى برازا بنفسه بزيارة الملك ونجح فى اقناعه بتوقيع معاهدة حماية فى ١٠ سبتمبر ١٨٨٠ تنازل بمقتضاها عن الأراضى الواقعة شمال محطة برازافيل وعن منطقة نيومبى Nympey وقبل رفع العلم الفرنسى على أراضيه (٥٧) •

كذلك وقع دى برازا معاهدات حماية مع الزعماء المحليين الذين تقع أراضيهم قرب أملاك الملك ماكوكو وأسس محطة فرنسية فى ضفة كيلا Kila (٥٨) ثم أسس دى برازا محطة ثالثة فى اليما ، ويبدو أن مهمة دى برازا فى هذه المنطقة لم تكن ميسرة اذ رفض سكان اليما فى البداية انشاء محطة فى أراضيهم ولكنهم سرعان ما اضطروا لقبول الأمر الواقع ، ولذلك وصفهم دى برازا فى تقاريره بالوحشية ، ولكنه فى الوقت نفسه دعا حكومته لتوطيد الصلات معهم ، كما أرسل الى المنطقة الكابتن فرومان Froment فى نوفمبر ١٨٨٥ لدراسة السكان وعاداتهم وتقاليدهم (٥٩) •

وهكذا فى خلال عامين من وصول دى برازا ، الى الكونغو حصل لفرنسا على مساحات شاسعة من الأراضى وأسس العديد من

---

(57) Hanotaux, G : op. cit p. 402.

(58) Ibid p. 403.

(59i) Vidrovitch, Catherine : Brazza et La prise de possession du Congo 1883 — 1885. Paris 1969 p. 453.

المحطات الفرنسية لتدعيم النفوذ الفرنسى بالاضافة الى تدوينه الملاحظات العلمية القيمة وكتابة التقارير التى أفادت منها الحكومة الفرنسية فائدة كبيرة (٦٠) .

عاد دى برازا الى فرنسا عام ١٨٨٢ ، ووافق البرلمان الفرنسى على المعاهدة التى عقدها مع الملك ماكوكو ، ويرجع السبب فى موافقة البرلمان الفرنسى أن أعضاء البرلمان كانوا مدفوعين بدافع الحماس الوطنى وخاصة بعد احتلال بريطانيا لمصر أكثر من دافع الدراسة السلمية للمزايا الاقتصادية المنتظرة للمعاهدة (٦١) .

كما أحدثت معاهدة ماكوكو رد فعل فى عواصم الدول الأوروبية وخاصة بلجيكا فأعلن الملك ليوبولد عن تخوفه من أعمال دى برازا فى المنطقة ودفع ستانلى الى مهاجمة بعض المراكز الفرنسية الواقعة على الضفة اليمنى للكونغو ولكن القوات الفرنسية تصدت له (٦٢) .

كذلك احتج التجار البريطانيون على نشاط دى برازا فى الكونغو وحذروا الحكومة البريطانية من تصاعد النفوذ الفرنسى الذى من الممكن أن يؤدى الى عرقلة الملاحة والتجارة فى النهر ، ورفع أعضاء غرفة مانشستر التجارية مذكرة الى اللورد جرانفيل فى ١٣ نوفمبر ١٨٨٢ حثوا فيها الحكومة البريطانية على اتخاذ موقف حاسم ازاء التغلغل الفرنسى فى الكونغو ، وطالبوا بانشاء مركز بريطانى على النهر . وذلك لأن القنصلية البريطانية فى لواندا من الصعب عليها مراقبة المنطقة . كما أكدوا على الحكومة بضرورة مراعاة مصالح البريطانيين التجارية (٦٣) .

---

(60) Hanotaux : op. cit p. 404.

(٦١) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠٧ .

(62) Hanotaux, op. cit p. 406.

(63) Anstey, R : op. cit p. 116 .

وقد وجهت الحكومة البريطانية التساؤلات للسفير الفرنسى فى لندن للتأكد من عدم عرقلة تجارة البريطانيين فى المنطقة ، ولكن أنصار التوسع البريطانى مثل ماكينون وكيرك [٦٤] لعبوا دورا بارزا فى الضغط على الحكومة البريطانية فأكد كيرك خطورة معاهدة ماكوكو التى وقعها مع دى برازا وأرسل الى اللورد جرانفيل فى ١٩ مارس ١٨٨٣ مذكرة طالب فيها بضرورة عقد معاهدة بريطانية مماثلة مع الملك ماكوكو تتيح لبريطانيا حرية الملاحة والتجارة فى الكونغو [٦٥] .

عاد دى برازا الى الكونغو فى مهمة علمية ، وحصل على لقب مفوض حكومة الجمهورية الفرنسية فى الغرب الافريقى ، وأسفرت بعثته الثالثة ١٨٨٣ عن التوغل فى الكونغو . ونجح فى السيطرة على عدة نقاط على الساحل ، وخاصة فى بوانت نوار كما عمل على مراقبة عملاء ستانلى وفتح الطريق بين اليما والكونغو .. وهكذا يتضح لنا أنه عند انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ كان دى برازا قد دعم بالفعل السيطرة الفرنسية على الضفة اليمنى لنهر الكونغو ، وحصل لفرنسا على مكاسب كبيرة أفادت منها فى تأكيد نفوذها عند انعقاد المؤتمر [٦٦] .

أرادت بريطانيا أن تثبت وجودها فى المنطقة وخاصة بعد نشاط دى برازا المكثف ونشاط ستانلى ، فتفاوضت مع البرتغال لعقد معاهدة بينهما فى ٢٦ فبراير ١٨٨٤ ، اعترفت فيها بأحقية البرتغال فى الاستيلاء على اقليم الكونغو بين خطى عرض ٩٢ ، ٨ جنوبا ، على أن تكفل حرية الملاحة فى كل من الكونغو والنيجر وأن تعمل

---

(٦٤) عملا فى سواحل افريقيا الشرقية .

(65) Anstey, R : op. cit p. 129.

(66) Hanotaux, G : op. cit pp. 410 — 412.

الدولتـــان ســـويا على محاربة تجـــارة الرقيق [٦٧] ولكن ذاع خبر المعاهـــدة قبل التصديق عليها واحتجت فرنسا على ادعاءات البرتغال فى الـــكونغو وأبلغ ليونز Lyons السفير البريطانى حكومته فى ٢٣ مايو ١٨٨٣ أن المســـيو لاكور Challemel - Lacour يعـــارض ادعاءات البرتغـــال وان فرنســـا لن تعترف بالمعاهـــدة لو وقعت بين الطرفين ، كذلك أثارت المعاهـــدة بلجيـــكا فقد أدركت أن المعـــاهدة تمهيدا لسيطرة بريطانيـــا على المنطقـــة ، واعترضت الولايات المتحدة الأمريكية على المعاهـــدة ، أما ايطاليـــا وأسبانيا فلم تعترضا لأن لم تكن لهما مصـــالح فى الـــكونغو [٦٨] وواصلت فرنسا ضـــغطها على الحكومة البريطانية واتخذت من المسألة المصرية واحتـــلال بريطانيـــا لمصر وسيلة للضغط وقدم جول فرى احتجاجا على المعاهدة فى مذكرة رفعها الى الحكومة البريطانية فى ١٣ مارس ١٨٨٤ • وقـــد اقتنعت بريطانيا فى نهـــاية الأمر بضرورة تخليها عن المعاهدة لأن دول أوروبا أيضا لوحت لها بالمسألة المصرية [٦٩] •

أصبح واضحا أن الخلاف بين فرنسا وبلجيكا على الكونغو لابد من حله عن طريق مؤتمر دولى وذكر الســـياسى البلجيكى اميل بانتج أن المسألة الافريقيـــة برمتها هى الشغل الشاغل للدول الأوروبية[٧٠] وقد سعى بسمارك لعقـــد مؤتمر برلين لحل مشكلة الـــكونغو وكان المؤتمر محاولة منه ومن جول فرى وزير خارجيـــة فرنسا لاستخدام الطرق الدبلوماسية لاقتطاع القارة • وحضر المؤتمر الدول الأوروبية المعنية بالقارة ولعب بسمارك دورا هاما فى الموازنة بين هذه الدول [٧١]

---

(٦٧) شوقى الجمل المرجع السابق ص ٢٩٩ .

(68) Anstey, : op. cit p. 161.

(69) Robinson, R : op. cit p. 172 — 175.

(٧٠) شوقى الجمل المرجع السابق ص ٣٠٧ .

(71) Carrié,A : The Concert of Europe U. S. A. 1968 p. 310.

واذا كان المؤتمر قـد عقد أساسا لبحث مشكلة الكونغو الا أنه مالبث أن امتد ليشـمل عدة مشكلات وتم فيه التوصـل الى اتفاقات هـامة تلتزم بهـا الدول الأوروبية (٧٢) على أن أهم ما أسفر عنه المؤتمر هو أن الدول الأوروبية تكتلت ضد الاتفـاق البريطانى البرتغـالى ، اذ أدركت أن بريطانيـا تريد اعطاء الكونغو للبرتغال كخطوة تمهيـدية لتصفية ممتلكاتها ووضع يدها عليهـا • كما اعترفت الدول الأوروبية بدولة الـكونغو الحرة (٧٣) •

سعت فرنسا لتحديد الحـدود بين دولة الـكونغو الحرة وبين مناطق نفوذها على الضفة اليمنى للنهـر فـدارت المفاوضـات بين الدولتين الى أن تم فى النهـاية تحديد الحدود فيما بينهما • وقـد أرسل رئيس الهيئة الدولية للـكونغو الى وزير خارجية فرنسـا يؤكد تمسك الهيئـة ببعض المنـاطق مثل وادى Niadi - Quillou ولكن بعد عدة مراسلات بين رئيس الهيئة الدولية للكونغو Strauch وجول فرى قرر الطرفان ضرورة تبـادل المذكرات فيما بينهما تمهيدا لتحديد الحدود (٧٤) •

تم الاتفاق بين فرنسـا والهيئة الدولية عـلى اعتبار الفواصـل الطبيعية حدا وخطا للفصل بين ممتلكات كل منهما • كذلك تم تكوين

---

(٧٢) حياد اقليم الكونغو — حرية الملاحـة فيه — حرية الملاحـة والتجارة فى حوض الكونغو والنيجر وكل الأمم — عـدم فرض أية دولة حماية على المنـاطق الساحلية دوات أن تعلن ذلك للدول الأخرى — عدم اعلان الحماية — دون أن تكون مؤيدة بامتلاك فعلى .

(٧٣) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٣٠٣ .

(74) Hertslet, E. The Map of Africa by treaty vol II p. 562. No. 151 exchange of notes between the Congo Free state and France, respecting the rigt of preemption of France over the territory of the Congo free State April - May 1884.

لجنة للقيام بعملية تحديد الحدود ، وطالب الجانب البلجيكى بضرورة اعتراف فرنسا بعلم الهيئة الدولية للكونغو وتم توقيع الاتفاق فى ١٢ مارس ١٨٨٥ (٧٥) .

ورغم هذه الاتفاقات الا انه حدث خلاف بين الدولتين بشأن اقليم مايونجا Mayonga كاد أن يؤدى الى توتر الموقف بينهما ، ولكن أمكن التوصل الى اتفاق بشأن تحديد الحدود فى هذا الاقليم وذلك فى ٢٢نوفمبر ١٨٨٥ . وبذلك تم حصر الخلاف فيما بينهما(٧٦).

على أن أهم اتفاق عقد بين الجانبين كان معاهدة ٢٩ أبريل١٨٨٧ تعهدت فيها دولة الكونغو الحرة على أن يكون نهر الاوبانجى وهو فرع من فروع الكونغو الغربى هو الحد الفاصل بين الحدود الفرنسية وحدود دولة الكونغو الحرة واعتبرت المنطقة الواقعة شمال الاوبانجى تابعة لفرنسا ، والمنطقة الواقعة جنوبه تابعة لدولة الكونغو الحرة ، كذلك تعهدت دولة الكونغو الحرة بعدم التدخل فى الشئون السياسية للضفة الشمالية للاوبانجى وتعهدت فرنسا أيضا من جانبها بعدم التدخل فى أى عمل سياسى فى الضفة الجنوبية للاوبانجى (٧٧) .

ومن المعروف أن الملك ليوبولد تنازل عن جميع حقوقه فى دولة

---

(75) Ibid p. 564 No. 152. Convention between the government of the French republic and the international Association of the Congo, Paris 5 February 1885.

(76) Ibid p. 561 No. 154. protocol defining the boundaries between the Congo free state and the French possession in the region of Manyanga 22 Nov. 1885.

(77) Ibid p. 568 No. 156. Protocol defining the boundaries between the Congo Free State and the French possession in the oubangui region Brusseles 29 April. 1887.

الكونغو الحرة وأعلن تسليمه لبلجيكا بعد وفاته • وقد أثار ذلك مخاوف الحكومة الفرنسية فطلب وزير الخارجية الفرنسى ريبو من بورية السفير الفرنسى فى بروكسل فى ١٢ يوليو ١٨٩٠ ، أن يؤكد على الحكومة البلجيكية أنه فى حالة تسلمها دولة الكونغو الحرة بعد وفاة ليوبولد ، عليها الالتزام بالاتفاقيات المعقودة بين الطرفين ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ بخصوص تحديد الحدود بينهما (٧٨) وقد أكدت الحكومة البلجيكية كذلك أكد رئيس الهيئة الدولية Strauch للسفير الفرنسى التزام الهيئة والحكومة بالمعاهدات السابق عقدها بين الطرفين (٧٩) وأعلنت الحكومة البلجيكية بأنها تريد وتسعى لحسن الجوار مع فرنسا فى الكونغو فهما فى أوروبا دولتان متجاورتان ولذلك فمن الضرورى أن تتسم علاقات الدولتين فى افريقيا أيضا بالتفاهم وحسن الجوار (٨٠) •

واذا كانت فرنسا قد سعت لتسوية حدودها مع بلجيكا فانها سعت أيضا لتسوية حدود الكونغو الفرنسى مع البرتغال فعقدت اتفاق فى ١٧ مايو ١٨٨٥ لتحديد الحدود الشرقية للكونغو بين كابندا البرتغالية والكونغو تنازلت فيه البرتغال عن الضفة اليمنى عند Chiloango (٨١) •

---

(78) Documents Diplomatiques Francais ler serie tome VIII M. Ribot Ministre des Affaires étrangères à M. Boureé Ministre de France à Bruxelles. Paris 12 Juillet 1890 DNO 21 p. 149.

(79) D. D. F. ler serie tome VIII. M. Ribot à M. Bourée Ministre de France à Bruxelles paris 18 Juillet 1890 T p. 161.

(80) D. D. F. ler serie tome VIII. M. Beernaert, président du conseil de Belgique à M. Bourée, Ministre de France à Brusélles, Bruxelles 29, Juillet 1890 No. 128 p. 178.

(81) Hanotaux, op. cit. p. 424 .

كذلك عقدت فرنسا مع المانيا اتفاقا فى ٢٤ ديسمبر ١٨٨٥ لتحديد الحدود بين الكونغو الفرنسى والكاميرون الألمانى [٨٢] ورغم توقيع هذا الاتفاق الا أن الألمان عملوا على مد نفوذهم من الكاميرون صوب حدود الكونغو الفرنسى ونجح ناختيجال الألمانى فى رفع العلم الألمانى على مدينة دوالا على الساحل قرب مصب نهر سنجا وهو من روافد الكونغو وأعلن بسط الحماية الألمانية على هذه الجهات فاندلع خلاف حاد بين الدولتين على أساس أن الفرنسيين عقدوا فى منطقة سنجا العديد من معاهدات الحماية مع الزعماء المحليين وظل الخلاف قائما بين الدولتين حتى بدأت فرنسا تتجه لمد نفوذها على مراكش فى شمال أفريقيا فوقفت المانيا فى وجه الأطماع الفرنسية وتمثل ذلك فى حادثة أغادير الشهيرة ١٩١١ ولكن توصلت الدولتان فى النهية الى اتفاق وافقت فيه المانيا على اطلاق يد فرنسا فى مراكش فى مقابل تنازل فرنسا لألمانيا عن بعض الأراضى وبموجب اتفاق ١٩١١ — ١٩١٢ وسعت المانيا مستعمرتها فى الكمرون شرقا فوصلت الى نهر أوبانجى والساحل الشمالى للجابون وضمت بذلك حوض نهر سنجا وهو طريق مائى ورافد من روافد الكونغو الهامة وبذلك وضعت المانيا يدها على منطقة غنية فى افريقيا الاستوائية الفرنسية [٨٣] .

أما الاقليم الثالث الذى سعت فرنسا لدعم سيطرتها عليه فهو اقليم أوبانجى — تشارى (افريقيا الوسطى حاليا) . والواقع أن اهتمام دى برازا بكشف روافد الكونغو هو الذى أدى الى الكشف عن منطقة أوبانجى تشارى فقد اهتم الفرنسيون بالكشف عن نهر سنجا ، وهو من روافد الكونغو اليمنى يصب بالقرب من الاوبانجى أمام منطقة اليما بدلتا كبيرة ، وقد أد اكتشاف دى برازا لهذا

(82) Ibid p. 427.

(٨٣) شوقى الجمل المرجع السابق ص ٤١١ .

الرافد الى اثارة فضوله للتقدم شمالا واكتشاف المنطقة ، فوصل الفرنسيون الى اقليم كبير مجهول بالنسبة اليهم يقع بين تشاد فى الشمال والأوبانجى فى الجنوب وشارى فى الشرق والكاميرون فى الغرب (٨٤) .

وقد أصبح اقليم أوبانجى — تشارى ضمن أقاليم افريقية الاستوائية منذ عام ١٨٩٤ وأقرب طريق له الى البحر عن طريق الكاميرون ، ويجرى فى الاقليم أعالى نهر شارى ، وروافده العديدة التى تتبع من خط تقسيم المياه بين النيل والكونغو وتصب هذه الروافد فى نهر الأوبانجى (٨٥) .

وجدير بالذكر أن هذا الاقليم بحكم موقعه بين تشاد والسودان والكونغو والكاميرون كان ملتقى الهجرات ، كما أنه تبع الممالك الاسلامية التى ظهرت فى المنطقة فخضعت أجزاؤها الشمالية والشمالية الشرقية للممالك الاسلامية التى قامت فى منطقة تشاد وفى غرب السودان ، كما وصل اليه الدعاة السنوسين قادمين من ليبيا (٨٦) .

اهتم دى برازا بارسال البعثات الكشفية الى منطقة أوبانجى تشارى ، وفى عام ١٨٨٩ تم بناء ميناء بانجى على الضفة اليمنى لنهر الأوبانجى ، وعمل دى برازا على فتح الطريق بين الاقليم وتشاد ، وساعده على تحقيق هدفه أن لجنة افريقيا الفرنسية التى تكونت فى باريس ١٨٩٠ ، عملت على ارسال المكتشفين الى المنطقة وخصصت

---

(84) Hanotaux, op. cit p. 482.

(٨٥) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٤١١

(٨٦) د. اسماعيل ياغى تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر (قارة افريقيا) طبعة الرياض ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

ميزانيـــة لهذا الغرض — وفى عام ١٨٩٠ توغل كـــرامبل من بانجى حتى دار الكوتى (٨٧) .

كذلك تجول القائد الفرنسى كلوزيل Clozel فى المنطقـــة حتى وصل الى حوض بحر سارا ، وقام فـــورنو Fourneau بالتجول فى المنطقة الواقعـــة من حوض نهر ســـنجا الى ليبرفيـــل — أما كازمير Casimir فقـــد أرسل فى بعثـــة الى الأوبانجى فاتجه نحو الشمال الغربى ووقع معاهـــدة مع زعمـــاء بحر سارا ثم وصـــل الى بنوى ويولا (٨٨) على أن كل تلك الجهود كللت بالنجاح عندما وقع دى‌برازا معاهدات حمـــاية ١٨٩١ على المنطقة الواقعة شرق الأوبانجى وسنجا واعتبرت هذه المناطق تحت السيادة الفرنسية (٨٩) .

على أن أهم البعثات التى أرسلت الى المنطقة كانت بعثة ميزون الذى دعا الى ضرورة تدعيم الاتصـــال بالســـاحل الغربى الافريقى والكونغو الأوسط واكتشاف الأقاليم الداخلية (٩٠) وقد تجول ميزون بين بنوى وتشاد ووصل الى نهر سنجا فى ٢٩ يناير ١٨٩٢ وأعلن أنه يمكن ربط النيجر وبنوى وسنجا والكونغو الفرنسى وتحقيق الاتصال بينهم (٩١) .

والواقع أن تدعيم السيطرة الفرنســـية على اقليم أوبانجى — تشارى لم يقابله مقاومة وطنيـــة عنيفة أو مقاومة منظمـــة على نحو

---

(87) Geographical handbook series French Handbook Equatorial Africa and Cameroons 1942 p. 235,

(88) Geographical Hanbook : op. cit p. 236.

(89) Hanotaux : op. cit p. 491.

(90) Catherine : op. cit p. 332.

(91) Hanotaux: op. cit p. 488 .

ماحدث فى تشاد مثلا ، ولكن هذا لايعنى من وقوع بعض المصادمات بين القوى الوطنية والفرنسيين ، ففى عام ١٨٩٠ قتل الوطنيون قائد مركز بانجى ويدعى موسى Musy ، وفى عام ١٨٩٣ قتل القائد الفرنسى دى بوميراك De Poumayrac عند منطقة ابيرا Abira وهى أحد روافد نهر موبومو (٩٢) .

والواقع أن سيطرة فرنسا على هـذا الاقليم لم تتم عن طريق غزو عسكرى كبير وحمـلات عسكرية ، كما حـدث فى تشاد أو فى معظم منـاطق غرب افريقيا ، ولكن كان عـلى فرنسا أن تخوض عدة معارك سياسية كبيرة مع الدول المنافسة لها فى المنطقة ، فعقدت عدة تسويات مع كل من المانيا وبلجيكا ليخلص لها الاقليم فى النهـاية . فقد واجهت فرنسا خطورة تقدم الألمـان فى المنطقـة وخاصـة من مستعمرتهم فى الكاميرون ووصلت البعثات الألمـانية الى الأوبانجى وأسست المحطات والوكالات منذ عام ١٨٨٦ . وقد ساعد على نشاط هذه البعثات تأسيس لجنـة افريقيا الألمانيـة فى برلين عـام ١٨٨٥ والتى عملت على تشجيع كشف افريقيـا . وقد رفع أعضاء اللجنـة فى ١٩ يناير ١٨٨٦ مذكرة الى الحكومة الألمانية طالبوها بضرورة انشاء المراكز الألمانية على نهر الأوبانجى وتـدعيم السيطرة الألمانيـة على المنـاطق المجاورة له وبسط السيادة الألمـانية من الـكاميرون حتى الأوبانجى . كذلك دعا الدكتور زنتجراف المكتشف الألمانى الى ضرورة تقدم المانيا من الكاميرون صوب المناطق الداخلية فى القارة وعـدم الاكتفاء بالكاميرون فقط وانما ضم مزيد من الأراضى لألمانيا (٩٣) .

ولكن الحكومة الألمـانية رفضت فى ذلك الوقت فكرة ارسـال بعثات كشفية فى مناطق مجهولة لها تمـاما ، الا أن هـذا الرفض لم

---

(92) Geographical Handbook : op. cit p. 236.

(93) Hanotaux : op. cit p. 483.

يمنع الحكام الألمان فى الكاميرون من ارسال البعثات ، ففى عام١٨٨٧ وصل كل من الكابتن Kund والملازم تابنبك Tappenbeck الى حوض الكونغو — وفى عام ١٨٨٩ تقدم مورجن Morgan نحو الشرق وفى الواقع أن هذه البعثات لم تحرز تقدما كبيرا فى المنطقة ولم يكن لها نتائج سياسة تذكر (٩٤) .

أرادت بريطانيا قطع الطريق على فرنسا ومنعها من الامتداد والتوسع من منطقة أوبانجى تشارى فعقدت فى ١٥ نوفمبر ١٨٩٣ اتفاقا مع المانيا حدد الحد الغربى لمستعمرة الكاميرون سمح للألمان بالامتداد نحو تشاد (٩٥) .

وقد سبب ذلك حرجا لموقف فرنسا فقد حددت فرنسا حدود الكاميرون الجنوبى مع المانيا وفقا لمعاهدة ٢٤ ديسمبر ١٨٨٥ ، ولكن ظل الحد الشرقى مفتوحا وان كانت المادة الرابعة من الاتفاق قد تضمنت بأن النفوذ الألمانى سوف لا يمتد شرقا أبعد من حوض نهر شارى ودارفور وكردفان وبحر الغزال . ولذلك كان لابد أن تتوصل فرنسا لعقد اتفاق ثان مع المانيا لتحديد الحدود الشرقية لمستعمرة الكاميرون ومنع الألمان من الامتداد والتوسع نحو الشرق وتهديد الأقاليم التى خضعت لفرنسا فتم توقيع اتفاق ١٥ مارس ١٨٩٤ الذى اعتبر نصرا كبيرا لفرنسا اذ أنه فى مقابل بعض الامتيازات البسيطة للألمان وافقوا على تحديد الحد الشرقى للكاميرون مما ترك لفرنسا حرية التوسع فى الشمال حتى بحيرة تشاد وفى الشرق . وقد أثار هذا الاتفاق غضب بريطانيا فحاولت الدس بين الألمان والفرنسيين ولكن دون جدوى فقد أرسلت الحكومة الفرنسية الكابتن مونتى الى

---

(94) Ibid p. 484.

(٩٥) على ابراهيم : أضواء على المنافسة الدولية فى أعالى النيل — القاهرة ص ١٩٥٩ ص ٢٠٢ .

برلين للتفاوض وسارت المحـــادثات فى جو ودى ، وفى ٤ فبراير تم التوصل الى الاتفاق الذى وقع فى ١٥ مارس ١٨٩٤ [٩٦] .

ولتدعيم السيطرة الفرنسية فى منطقة أوبانجى تشارى كان لابد من الوصول الى اتفاق مع بلجيكا أيضا نظرا لأطماعها فى المنطقة .

فقد أرسل دى برازا ليوتار فى أبريل ١٨٩٠ وكان قد قام بكشوف فى الجابون ليوطد النفوذ الفرنسى فى أعالى الاوبانجى والمنـــاطق المجاورة ولكى تكون هذه الأراضى مدخلا للفرنسيين الى النيل [٩٧] . وفى ٥ فبراير ١٨٩١ كتب دى برازا الى ليوتار بأنه لابد من العمـــل تجاه الشمال الشرقى والامتداد نحو أعالى النيل ولم يكن مع ليوتار سوى قوة صغيرة من الجنود السنغاليين[٩٨] . هذا فى الوقت الذى أبدى فيـــه الملك ليوبولد نشاطا كبيرا لمد نفوذه من الكونغو الى أعالى النيل . ولذلك أرسل قوة بلجيكية بقيـــادة فان كركهوفن وصلت فى أكتوبر ١٨٩٢ الى النيل عند ودلاى ، وصلت حمـــلات البلجيكيين الى الشاطىء الأيمن لنهر أولى الذى يعتبر امتداد لنهر الأوبانجى [٩٩] . ولذلك فتحت فرنسا باب المفاوضـــات مع بلجيكا لتحديد النفوذ بين نهرى ولى والموبومو وهمـــا الفرعان اللذان يتفرع اليهمـــا الأوبانجى فى أعاليه وفى النهـــاية عقدت اتفاقية اعترف فيها بأن يكون الحد هو نهر شنكو وخط عرض ٧ شمالا ، وفى مقابل هذا الامتيـــاز يبدو أن ليوبولد كان موافقا على أن يقسم مع الفرنسيين المنطقة الواقعة على الجانب الغربى من النيل الأعلى حيث تحصل دولة الكونغو الحرة على المنطقة الواقعـــة فى الشمال حتى لادو ويترك الباقى للفرنسيين ورغم

---

(٩٦) على ابراهيم : المرجع السابق ص ١٠٢ .

(٩٧) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠٩ .

(٩٨) على ابراهيم : المرجع السابق ص ٩٤ .

(٩٩) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠٩ .

موافقة المسيو ريبو وزير الخارجيـــة الفرنسى على التســـوية الا أنه رفضها بضغط من الفريق الاستعمارى فى مجلس النواب (١٠٠) .

ثم توتر الموقف بين الطرفين عندما عقدت حكومة الكونغو الحرة فى ١٢ مايو ١٨٩٣ اتفاقا مع بريطانيا سمحت فيهـــا الأخيرة لبلجيكا بتأجير منطقـــة كبيرة من بحر الغزال تقع بين خطى ٣٠° ، ٢٥ شرقا خطى عرض ١٠ ، ٤ شمالا ــ كذلك أجرت للملك ليوبولد ولمدى الحياة المنطقة الواقعة على الشاطىء الأيسر للنيل عند ماهاجى على الشاطىء الغربى لبحيرة البرت الى فاشودة وفى مقابل ذلك أجرت دولة الكونغو الحرة لبريطانيا شريطا من الأرض يمتد من بحيرة البرت حتى بحـــيرة تنجانيقا ، أى انه بمقتضى هذا الاتفاق تنازلت بريطانيا لدولة الكونغو الحرة عن نصف حوض الأوبانجى وكل بحر الغزال (١٠١) .

اعتبرت فرنسا الاتفاق البلجيكى البريطانى مناقضـــا للاتفاقات الدولية كما انه يعرض مصالح الفرنسيين فى منطقة الأوبانجى العليـــا للخطر كما أن فيـــه اعتداء على حقوق مصر السياسية والسيادة على بحر الغزال والمديرية الاستوائية وهـــددت فرنسا باســـتخدام القوة وأرسلت حملة بقيادة الكولونيل مونتى لطرد البلجيكيين من الأوبانجى العليـــا (١٠٢) .

وفى الوقت نفسه لجأت فرنسا الى استخدام أسلوب الاحتجاج ضد كل من بلجيكا وبريطانيـــا وخاصة بعد تأكدها من توقيع الاتفاق السابق بين الطرفين وأنه أصبح ســـارى المفعول (١٠٣) كذلك حاولت

---

(١٠٠) على ابراهيم : المرجع السابق ص ٩٥ .
(١٠١) شوقى الجمل المرجع السابق ص ٥١١ .
(١٠٢) المرجع السابق ص ٥١٢ .
(103) D. D. F. ler serie tome XI. M. Casimir - perier a M. Boureé, Ministre de France à Bruxelles DN 25 Urgent Paris 26 Mai 1894 p. 169.

فرنسا التقرب من المانيا فأرسل المسيو هربرت السفير الفرنسى فى برلين الى كازمير وزير الخارجية الفرنسى فى ٢٧ مايو ١٨٩٤ يخبره بضرورة مقاومة الاتفاق البريطانى البلجيكى ، مذكرا اياه بأن فرنسا والمانيا قد نجحتا من قبل فى الغاء المعاهدة البريطانية البرتغالية التى عقدت عام ١٨٨٤ وان الدولتين فى الوقت الحالى بامكانهما الضغط على بلجيكا وبريطانيا لمنع تنفيذ اتفاق ١٢ مايو ١٨٩٣ (١٠٤) .

كذلك لم تكتف فرنسا باغراء المانيا بالتحالف معها وانما وجهت انتقادا الى دولة الكونغو الحرة فأرسلت مذكرة الى الكونت دى جريل روجيه De Grelle - Rogier وكيل وزارة الشئون الخارجية لدولة الكونغو الحرة نددت فيها بالاتفاق المعقود بين بريطانيا ودولة الكونغو الحرة ، وأكدت ضرورة تمسك دولة الكونغو الحرة بالاتفاقيات السابقة المعقودة بينها وبين فرنسا كما أوضحت المذكرة الوضع الدولى للاقاليم الواقعة فى حوض وأعالى النيل ودعت دولة الكونغو الحرة الى عدم نسيان هذا الوضع (١٠٥) .

وقد حرصت فرنسا على ارسال الاحتجاجات على المعاهدة المعقودة بين بريطانيا ودولة الكونغو الحرة الى لندن والى بروكسل (١٠٦) وأكدت بأن المنطقة التى سيمتد اليها نفوذ بلجيكا انما

---

(104) Ibid M. Herbette Ambassadeur de France à Bruxelles à M. Casimir perier Ministre des Affaires étrangères Berline 27 Mai 1894 DNo. 42.

(105) D. D. F. tome XI. Note remise a M. De Grelle - Rogier 27 Mai 1894 Bruxelles p. 180.

(106) Ibid M. Herbette Ambassadeur de France à Berlin à M. Casimir - Perier Ministre des Affaires étrangéres Berlin 29 Mai 1894 T No. 78.

هى تعتبر أملاك تابعة للخديوى فى مصر وللدولة العثمانية(١٠٧) .

ولكن رغم كل هذا النشاط الدبلوماسى المكثف لفرنسا وسلسلة الاحتجاجات التى أرسلتها عن طريق سفرائها الى معظم عواصم الدول المعنية بالمنطقة الا أن السفير الفرنسى فى بروكسل أكد لحكومته بأن الملك ليوبولد لن يستطيع المضى قدما فى هذا الاتفاق فهو يعتمد على ثروته الخاصة وسوف يجد نفسه فى النهاية عاجزا عن مواصلة جهوده فى افريقيا وعن مواصلة ارسال البعثات والمستكشفين ، وان المستقبل لفرنسا لأن ليوبولد سيصل الى مرحلة لن يستطيع تخطيها . ودعا السفير الفرنسى بلاده الى شن مزيد من الحملات فى الصحف ضد الملك ليوبولد شخصيا . وبالفعل شنت الصحف الفرنسية سلسلة من الحملات ضد ليوبولد وشبهته بالقياصرة (١٠٨) .

والواقع أن الضغط الفرنسى قد أثمر فقد أصدرت بريطانيا بالاتفاق مع ليوبولد تصريحا فى يونيو ١٨٩٤ يتضمن الغاء المادة الثالثة من الاتفاق البريطانى البلجيكى يمتد من تنجانيقا حتى بحيرة الحرة شريط من الأرض لبريطانيا يمتد من تنجانيقا حتى بحيرة البرت (١٠٩) ومن أسباب معارضة فرنسا لهذا الاتفاق أنها أيقنت أنه ضمن مخططات الاستعمارى الكبير سيسل رودس لتربط شمال القارة بجنوبها وانه تمهيد لتحقيق هذا المشروع (١١٠) .

---

(107) Ibid M. Boureé Ministre de France à Bruxelles à M. Hanotaux ministre des affaires étrangères Bruxelles 31 Mai 1894 D. No. 12.

(108) Ibid M. Boureé, Ministre de France à Bruxelles à M. Casimir Ministre des Affaires étrangères Bruxelles 28 Mai 1894 DN. 11 trés confidentiel.

(١٠٩) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٣٢٠ .

(110) D. D. F. tome XI M. D'éstournelles chargé des affaires étrangères à Londres à M. Ribot Ministre des Affaires étrangères Londres 14 Avril 1891 D. No. 115.

وأخيرا عقد اتفاق ١٤ أغسطس ١٨٩٤ بين فرنسا ودولة الكونغو الحرة اعترفت بلجيكا بالنفوذ الفرنسى بين فرعى الأوبانجى موبومو وولى — وأن يكون لفرنسا حقوقا سياسية فى موبومو [١١١] وتنازل ليوبلد عن فكرة احتلال منطقة بحر الغزال ليبقى الميدان مفتحا أمام الفرنسيين ومن ناحية أخرى تركت فرنسا لدولة الكونغو الحرة استئجار منطقة اللادو [١١٢] .

على أن فرنسا حاولت الاستفادة فيما بعد من تواجدها فى المنطقة لمد نفوذها الى حوض النيل الا أن بريطانيا وقفت لها بالمرصاد وتمثل ذلك فى حادثة فاشودة الشهيرة ١٨٩٨ التى استبعدت فيها فرنسا نهائيا من أعالى النيل ، كذلك فشلت فى ربط ممتلكاتها الواقعة فى غرب القارة بممتلكاتها فى شرق القارة . رغم المساعدات القيمة التى حصلت عليها حملة مارشان من لاجارد حاكم الصومال الفرنسى ومن الملك منليك ملك الحبشة [١١٣] وهكذا سيطرت فرنسا على اقليم أوبانجى تشارى بواسطة سلسلة من المعاهدات ولكنها رغم ذلك لم تنجح فى مد نفوذها منه الى منطقة أعالى النيل .

أما تشاد فهو الاقليم الرابع الذى وضعت فرنسا يدها عليه لتستكمل تكوين افريقيا الاستوائية الفرنسية ، كما أن تشاد كانت نهاية للتوسع الفرنسى وللحملات العسكرية القادمة من السنغال . وتميل أرض تشاد بشكل عام نحو الجنوب الغربى ، يدل على ذلك اتجاه المياه من مختلف الجهات نحو بحيرة تشاد التى أخذت البلاد اسمها وتتقاسم شاد هذه البحيرة مع كل من النيجر ونيجريا

---

(111) Hertslet, op. cit vol II. No. 157 Boundary Agreement between France and the congo free state 14 August 1894 p. 569.

(١١٢) على ابراهيم عبده : المرجع السابق ص ١١٥ .

(١١٣) شوقى الجمل — المرجع السابق ص ٥١٣ .

والكاميرون ، ويجرى فى تشاد كل من نهر تشارى الذى ينبع من افريقيا الوسطى ، كذلك نهر لوجون الذى شكل خط الحدود بينها وبين الكاميرون (١١٤) .

ذكرنا من قبل أن التوسع الفرنسى فى الكونغو الأوسط ، وأوبانجى تشارى ، والجابون اتسم الى حد ما بالهدوء النسبى اذا ما قورن بحركات المقاومة الوطنية التى واجهتها فرنسا أثناء توسعها فى غرب افريقيا وتكوين ما عرف بأفريقيا الغربية الفرنسية حيث واجهت فرنسا مقاومة عنيفة وخاصة من قبل الممالك الاسلامية فى هذه المناطق والتى أعلن معظمها الجهاد ضد الفرنسيين ، ولعل تشاد كانت الوحيدة ضمن أقاليم افريقيا الاستوائية التى قدر لها أن يظهر فيها حركة جهاد اسلامى شبيه بتلك التى ظهرت فى غرب افريقيا فتميزت بذلك عن باقى أقاليم افريقيا الاستوائية وتزعم حركة الجهاد ضد الفرنسيين فى تشاد رابح الزبير الذى كون دولة اسلامية فى حوض نهر شارى ونجح فى نشر الاسلام بين الجماعات الوثنية فى المنطقة .

وقد ارتبط رابح الزبير بالسنوسيين وخاصة السيد محمد السيد السنوسى وأبدى الطرفان كراهية شديدة للفرنسيين . وقد بدأت العلاقة بين رابح والفرنسيين تتخذ طابع التوتر بعد أن أقدم على قتل المكتشف الفرنسى بول كرامبل وذلك فى عام ١٨٩١ (١١٥) ثم عمل رابح على توسيع نفوذه جنوب بحيرة تشاد فغزا أراضى الباجرمى وأحكم الحصار حول مدينة مانهافا الواقعة جنوبا ونجح رابح فى السيطرة على عدة مقاطعات من دارفور ثم اتجه نحو الباجرمى

---

(١١٤) د. اسماعيل ياغى : المرجع السابق ص ١٩٦ .

(١١٥) سعد الدين الزبير : امبراطورية رابح الزبير — القاهرة ١٩٥٣ ص ٢٠ ، ٢١ .

واستطاع اخضاع سلطنة برنو لنفوذه وبذلك كون مملكة قوية واتخذ من دكوة جنوب بحيرة تشاد عاصمة له (١١٦) .

وخلال فترة توسع رابح الزبير كانت فرنسا على وشك اكمال توسعها فى غرب افريقيا وامتد نفوذها شرقا وكان من الطبيعى أن يحدث صدام بين القوات الفرنسية الزاحفة شرقا وبين رابح الزبير وخاصة وأنه سبق وأن اتهم باغتيال الرحالة الفرنسى بول كرامبل كذلك اعتقل المكتشف الفرنسى دى بهاجل . على أن رابح نجح فى ايقاع الهزيمة بالفرنسيين فى أكثر من مرة وقيل أن الفرنسيين لجأوا الى الزبير رحمت ليستعمل نفوذه لدى رابح لايقاف الحرب بينه وبينها وليطلب منه الانسحاب من برنو ولكن الزبير باشا رفض ذلك (١١٧) .

وجهت فرنسا ثلاث حملات للقضاء على رابح الزبير وذلك فى عام ١٨٩٩ خرجت الأولى من السنغال والثانية من الجزائر والثالثة من الكونغو الفرنسى وكانت بقيادة اميل جنتى . وقد حققت الحملات الثلاث هدفها ونجحت فى هزيمة رابح وقتله ولكنها حققت هدفا آخر هاما للفرنسيين وهو امكانية ربط المستعمرات الفرنسية فى افريقيا فى كل من الجزائر فى الشمال والسنغال فى غرب افريقيا والكونغو فى افريقيا الاستوائية (١١٨) .

وجدير بالذكر أن المهدى فى السودان حاول التحالف مع رابح وذلك فى الفترة مابين ١٨٨٢ — ١٨٨٥ فطلب منه الانضمام اليه ولكن رابح لم يستجب له ، على عكس موقف حكام نيجيريا فقد استجاب

---

(١١٦) د. اسماعيل ياغى : المرجع السابق ص ١٩٦ .

(١١٧) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠١ .

(١١٨) اسماعيل ياغى : المرجع السابق .

البعض منهم للمهدى وقاموا بالرد على رسائله ومنهم هايتو حفيد عثمان وأن فوديو الذى تزوج بابنة رابح وحافظ على علاقته الطيبة معه حتى وفاته (١١٩) .

استمر فضل الله بن رابح الزبير فى مقاومة الفرنسيين فى تشاد وعندما حاولوا التفاوض معه رفض وقطع رؤوس مبعوثيهم ولكن لم يتمكن من الاستمرار فى النضال طويلا فقد قتل فى فوجه (١٢٠) .

وهكذا ظلت القوات الفرنسية فى المنطقة تقاتل خلفاء رابح وأتباعه حتى عام ١٩٠٢ حين استقرت الأمور للفرنسيين على حدود برنو (١٢١) كذلك اصطدم الفرنسيون بالسنوسيين فى شمال تشاد وكانوا على علاقة طيبة برابح الزبير كذلك كان لهم نفوذ على الطوارق فى اير وزندر مما أقلق السلطات الفرنسية ولذلك وجهت لهم الحملات خلال أعوام ١٩٠١ ، ١٩٠٢ حتى انسحبوا من المنطقة (١٢٢) .

وهكذا نلاحظ أن ماكاد القرن التاسع عشر يصل الى نهايته حتى كان الاحتلال الفرنسى لافريقيا الاستوائية قد أوشك على الاكتمال، وكان من الصعب على فرنسا أن تدعم سيطرتها على المنطقة بأكملها ولذلك ظهرت فكرة تجميع المستعمرات الفرنسية فى وحدة فيدرالية حتى تسهل عملية ادارتها والتحكم فيها فتكونت افريقيا الغربية الفرنسية وافريقيا الاستوائية كوحدتين فيدراليتين وتكون الاتحاد

---

(119) Forde, Daryll : Islam in tropical Africal Lond 1969 pp. 423 — 425 .

(١٢٠) لوثروب ستودارد حاضر العالم الاسلامى — القاهرة ١٩٧١ ص ٣ ص ٦٤ .

(١٢١) شوقى الجمل : المرجع السابق ص ٥٠٢ .

(122) Hanotaux, G : op. cit p. 541.

الفيدرالى من عدة وحدات تخضع كل منهـا لحاكم يخضـع بـدوره للحاكم العـام فى الاتحاد ، ويمثل الأخير الجمهورية الفرنسية وهو المسئول أمام وزير المستعمرات [١٢٣] .

تكون اتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسية بمقتضى عدة مراسيم فبمقتضى مرسوم ٤ أغسطس ١٨٦٠ تركزت ادارة الوكالات الفرنسية فى الجابون وساحل غينيا ، فى الجابون وتولى الادارة قواد البحرية الفرنسية . وفى ٢٤ يناير ١٨٨١ صـدر مرسوم جعل ادارة ممتلكات فرنسا فى ساحل غينيا والجابون تحت قيـادة قائد أعلى من البحرية الفرنسية حمل لقب القائد الأعلى للمنشآت الفرنسية فى خليج غينيا وعندما قام دى برازا برحلته الثـالثة الى المنطقة حصـل على لقب مفوض من الحكومة الفرنسية وفى ١٦ ديسمبر ١٨٨٣ قسمت المنشآت الفرنسية فى خليج غينيا الى قسمين الجـابون ويتولى ادارته قائـد يشرف على كوتونو وبورتونوفو (داهومى) والقسـم الثـانى من المنشآت الفرنسية فى جران بسام واسينى (ساحل العاج) وفى ٢٧ أبريل ١٨٨٦ صـدر مرسوم أعطى لبرازا ادارة الجابون فعهد بدوره الى الملازم الفرنسى باليه Noel Ballay تولى ادارة المنطقة وفى ٢٩ يونيو ١٨٨٦ صدر مرسوم أعطى دى برازا لقب مفوض عام للحكومة وخوله ادارة المستعمرتين الجابون والكونغو ثم صـدر مرسوم ١١ ديسمبر ١٨٨٨ وحد الجابون والـكنغو ، فى ٣٠ أبريل ١٨٩١ أعطيت المنشآت الفرنسية فى المنطقة اسم الـكونغو الفرنسى وكانت هـذه الخطوة تمهيدا لانشاء اتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسية الذى صدر مرسوم تكوينه فى عام ١٩١٠ [١٢٤] .

---

(١٢٣) عبد الملك عوده : السياسة والحكم فى افريقيـا ـــ القاهرة ١٩٥٩ ص ١٧٠ .

(124) Hanotaux, G : op. cit tome IV. p. 429 — 431 .

نلاحظ مما سبق أن فرنسا نجحت فى تحقيق هدفها فى افريقيا الاستوائية فدعمت سيطرتها على المنطقة ، ساعـدها فى ذلك الظروف الدولية وخاصـة بعد انعقاد مؤتمر برلين ، كذلك الظروف الداخليـة التى مرت بهـا المنطقة ، حيث أننـا لا نلمس مقـاومة عنيفة ضـد الفرنسيين ابان فترة توسعهم فى أقاليم الجابون والكونغو وأوبانجى تشارى ، ولكن تتضح لنـا هذه المقاومة فى تشاد تلك المقـاومة التى قادها رابح الزبير وابنه فضل الله وربما يرجع السبب فى ذلك الى أن تشاد فيهـا أغلبية مسلمة تأثرت بحركات الجهـاد التى ظهـرت فى ممالك غرب افريقيا ابان فترة التوسع الفرنسى •

خاضت فرنسا عدة معارك سياسية مع الدول الأوروبية الطامعة فى المنطقـة فعقدت سلسلة من المعاهدات مع كل من بلجيكا ، والمانيا، والبرتغال الى أن تمكنت من تحديد حدود أقاليمها لتخلص لها افريقيا الاستوائية ، ونجحت فى وضع يدها على مساحـة كبيرة من الأراضى الا أنها أخفقت فى تحقيق حلمها التوسعى فى ربط ممتلكاتها فى غرب القـارة بممتلكاتهـا فى شرقهـا على شـكل حزام متصل من الأملاك الفرنسية ، أى أن يمتد النفوذ الفرنسى من السنغال فى غرب القـارة حتى جيبوتى فى شرق القارة وذلك لأن بريطانيـا كانت لها بالمرصـاد فلم تمكنها من أن تقطع ممتلكاتها فى القارة عرضـيا • وتمثل ذلك فى حادثة فاشودة حيث أجبرت فرنسا على التوقف بفتوحاتها حتى تشاد، ولكن رغم ذلك نجحت فرنسا فى تحقيق سياسـتها التوسعية فى ربط ممتلكاتها فى شمال القارة بممتلكاتها فى افريقيا الاستوائيـة فامتدت الأملاك الفرنسية متصلة من البحر المتوسط حتى الكونغو •

وأخيرا اعتمدت فرنسا فى توسعها على أنصـار التوسع وغلاة الاسـتعماريين أمثـال دى برازا واميل جنتى وغيرهم ممن يؤمنـون بضرورة تكوين امبراطورية فرنسية فيما وراء البحار •

أولا ـ المصـــادر :

(أ) الوثائـــق :

١ ـــ وثائق غير منشورة :

1 — Public Record Office

F O 403 / 4

٢ ـــ وثائق منشورة :

1 — Documents Diplomatques Français ler serie tome VIII. XI.

2 — Hertslet. Edward . The Map of Africa by treaty. London 1894 vol. II.

ثانيا ـ المراجع العربيـــة :

١ ـــ د. اسماعيل ياغى : تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر (قارة افريقيا) طبعة الرياض ١٩٨٣ جـ ٢ .

٢ ـــ زاهر رياض : الاستعمار الأوروبى لافريقيـــا فى العصر الحـــديث القاهرة ١٩٦٠ .

٣ ـــ شوقى الجمل : تاريخ كشف افريقيا واستعمارها القاهرة ١٩٧١ .

٤ ـــ صلاح العقـــاد : مغرب الاستعمار الفرنسى .

٥ ـــ عبد العزيز نوار : التاريخ المعاصر أوروبا من الحرب البروسية الى الحرب العالمية الثانية ١٨٧١ ـــ ١٩٤٥ ـــ القاهرة ١٩٧٧ .

٦ ـــ عبد العزيز نوار : التاريخ الحديث أوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية (١٧٨٩ ـــ ١٨٧١) القاهرة ١٩٨٥ .

٧ ـــ عبد الملك عوده : السياسة والحكم فى افريقيا ـــ القاهرة ١٩٥٩ .

٨ ــ على ابراهيم : أضواء على المنافسة الدولية فى أعالى النيل القاهرة ١٩٥٩ .

٩ ــ لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى دار الفكر ١٩٧١ .

١٠ ــ محمد محمد حسنين : الاتحاد الفرنسى ــ الجماعة الفرنسية فيما وراء البحـــار القاهرة ١٩٦٠ .

ثالثا ـ المراجع الأجنبيـــة :

1 — Ajayi, J and Michael Crowder : History of West Africa Lond 1974 vol. II.

2 — Anene, Joseph : Africa in the Nineteenth and Twentieth centuries ibadan 1966.

3 — Ansty, Roger : Britain and Congo in the Nineteenth century Oxford 1962.

4 — Avice, Emmanuel . La cote D'ivoiRe paris 1951.

5 — Betts, R. : The Scramble for Africa U. S. A. 1966.

6 — Brunshwig, Henri : L'Avénement de L'Afrique Noirc Paris 1971.

7 — Carrié, Réné, A : The Concert of Europe U. S. A. 1968.

8 — Casttelein. A : The Congo State. Lond 1907.

9 — Eucher, Lp : Le Congo. Paris 1894.

10 — Fage, J : An introduction to the history of west Africa. Cambridge 1959.

11 — Forde, Daryll : Islam in tropical Africa Lond 1969.

12 — Geographical handbook series. French Equatorial Africa and Cameroons. Lond 1942.

13 — Hanotaux, Gabriel : Histoire des colonies Françaises et de L'éxpansion de la France dans le monde. Paris 1929 tome IV.

14 — Hanotaux, G : Mon Temps. La troisiéme République. Gambetta Jules Ferry. Paris tome II.

15 — M. A. C. : Histoire compléte des voyages et découverts en Afrique Paris 1921.

16 — Robinson, Ronald and John Gallahar : Africa and the Victorians N .Y. 1961.

17 — Thompson, Virginia : French west Africa Lond 1958.

18 — Vidrovitch. Catherine : Brazza et la possession du Congo (1883 — 1885). Paris 1965.

19 — Williams Bary : Modern Africa 1972.

جـ ــ دوائر المعــارف :

1 — Cambridge history of Africa 1790 — 1870 .
Great Britain 1976. Vol. 5.